الحراك الاجتماعي وعلاقته بالمتغيرات المجتمعية للمجالات الاجتماعية في المدينة الجزائرية

دراسة ميدانية لترامواي ورقلة

كاوجة محمد الصغير
كوشي ابتسام
جامعة ورقلة (الجزائر)

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الحراك الاجتماعي بوصفه سمة ملازمة للمجتمعات البشرية حيث أن واقع تلك المجتمعات يميزها بالتفاعل المستمر والموجّه عقلياً ما ينتج عنه علاقات اجتماعية تؤسس إلى تكوّن نظم اجتماعية وأنساق اجتماعية يطلق عليها علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع مصطلح البناء الاجتماعي ، وما ينتج عن ذلك من حراك اجتماعي يتوزع تبعاً له أفراد المجتمع على مكانات اجتماعية مختلفة وبالتالي تتباين الأدوار والوظائف الاجتماعية بينهم.الحراك سمة ملازمة للمجتمعات البشرية المختلفة حيث لا يخلو مجتمع ما من تحرك الأفراد والجماعات من مركز اجتماعي إلى مركز اجتماعي آخر ، عدا تلك المجتمعات المغلقة التي يقل فيها الحراك الاجتماعي إلى أدنى مستوياته ، ويرى العلماء أن الكائنات البشرية المنضوية تحت النظام الاجتماعي ليست كائنات جامدة الحركة أو أن حركتها بفعل آلية محددة ، بل أنها كائنات تتميز بالعقل ، لذلك فإنها تؤثر سلباً و ايجابيا في النظام الاجتماعي حيث أنها قد تتواءم معه أو أنها تحدث تغيراً فيه ليكون متوائماً معها، ويرى البعض بأن النظام الاجتماعي يمكن تشبيهه بالمرجل الذي تتفاعل فيه كل المكونات والعناصر لإعادة تشكيل المادة ، حيث أن كل منها يترك أثره وفعله في تضيعها، مع الأخذ في الاعتبار تأثير العوامل الخارجية أيضا.

الكلمات و العناصر المفتاحية: الحراك الاجتماعي, المجال العمراني.. المجال الاجتماعي. المتغيرات المجتمعية

مقدمة:

الحراك الاجتماعي عبارة عن إيجاد بيئة محفّزة للعمل تتيح للمواطن تنمية قدراته واستعداداته ، وتكون فيه الفرص على أساس القدرات والمواهب والجهد الذاتي للحصول على مكانة وظيفية واجتماعية راقية داخل المجتمع ، ومن ثم يصبح المجتمع مجالاً خصباً لتنافس أعضائه . ويرى " أ .جيدنز " إن دراسة التراتيب الاجتماعي لا تقتصر على تباين المواقع الاقتصادية أو المهنية التي يشغلها الأفراد ، بل تتطرق أيضاً إلى ما يمكن أن يحدث لهم في سياق البنية الاجتماعية ، ويشير مصطلح الحراك الاجتماعي إلى تحرك الأفراد والجماعات بين مواقع اقتصادية واجتماعية مختلفة ، فالحراك العمودي أو " الشاقولي " يعني حركة الأفراد صعوداً أو هبوطاً على السلّم الاقتصادي الاجتماعي ، فيوصف من يحصّلون مكاسب في مجال التملّك أو الدخل أو المكانة بأنهم يحققون حراكاً إلى أعلى ، بينما تنحدر مواقع من يفقدون هذه المكاسب في الاتجاه المعاكس إلى أسفل ، كما يرى " جيدنز " أنه قد انتشرت في المجتمعات الحديثة ظاهرة الحراك الجانبي الذي يشير إلى التحرك الجغرافي بين الأحياء والمدن والأقاليم ، وقد يلتقي

الحراك ان كان العمودي والجانبي مثلاً عندما يُنقل شخص من المؤسسة التي يعمل بها إلى أحد فروعها في مدينة أو بلد آخر مع ترقيته إلى منصب أعلى ، وهناك طريقتان لدراسة الحراك الاجتماعي هما : دراسة الحراك الجيلي الذي يشير إلى ما يحققه الفرد من تحرك صعوداً أو هبوطاً على السلّم الاجتماعي في حياته ، ودراسة الحراك بين الأجيا الذي يدل على مثل هذا الصعود أو الهبوط بين الابن وأبيه على سبيل المثال. 2

مشكلة البحث : تتحدد مشكلة البحث في مدى امكانية معرفة العلاقة التي تنشأ في إطـــار الحـــراك الاجتمـــاعي بـــين الحصول على المكانة أو المركز الاجتماعي والأدوار الوظيفية الناجمة عن ذلك ، والتغيرات التي يمكن حـــدوثها فـــي البُنى والنُظم الاجتماعية ، والعلاقة بين تلك العمليات واحداث التنمية والتغير والتقدم في المجتمـــع. وســـعياً لدراســـة المشكلة محل البحث فإننا نرى تناولها من خلال التساؤلات البحثية التالية:

- دراسة وتحليل مفهوم الحراك الاجتماعي.
- هل أن المجتمعات في عمومها منفتحة للحراك الاجتماعي أم أن هناك مجتمعات مُغلقة لا تسمح بذلك ؟
- مدى تأثير الحراك الاجتماعي على النُظم والبُنى الاجتماعية وتغيّرها

وقد تناول البحث ما تقدم من خلال سؤال مهم وهو : هل يؤثر الحراك الاجتماعي في تكوين بنية المجتمع ، أم أن البناء الاجتماعي هو الذي يفسح المجال للحراك الاجتماعي ليكون متنفساً للضغوطات التي يواجهها المجتمع فـــي ظل وجود متغيرات داخل المجال الاجتماعي؟

ثانيا:حديد مفاهيم الدراسة :

الحراك الاجتماعي : يعرف الحراك الاجتماعي بأنه الوضع الذي يشير إلى إمكانية تحرك الأفراد أو الجماعات إلى أسفل أو إلى أعلى الطبقة أو المكانة الاجتماعية في هرم التدرج الاجتماعي أو في إطار النسق الاجتماعي ، ويرى البعض بأن مصطلح(حراك)يستخدم أيضاً ليدل على الحركة المكانية أو الهجرة السكانية وهذا ما يســـمى(الحـــراك الفيزيقي)، أما الانتقال من وضع اجتماعي إلى آخر داخل البناء الاجتماعي فيسمى(الحراك الاجتماعي)، ويعني ذلك انتقال الفرد أو مجموعة من الأفراد من مستوى طبقي إلى مستوى آخر ما يدل على أن الحراك الاجتمـــاعي يتطلـــب وجود مجتمعاً طبقياً ، لذافالحراك الاجتماعي ظاهرة جديدة في المجتمع الحديث ، بل هناك من يرى بأنه أحد المقومات الرئيسية في المجتمع المتحضر، الذي يتميز عن المجتمع التقليدي الإقطاعي الذي يعد مجتمعاً مغلقاً ولا يتحرك فيه الفرد خارج الجماعة التي ينشأ فيها لوجود حواجز اجتماعية تربط الفرد بجماعته.

يذهب البعض إلى أن مفهوم الحراك الاجتماعي يشير إلى الدرجة التي يسمح بها المجتمع أو يشـــجع أو يجبـــر أفراده على تغيير مكانتهم ومستواهمالجغرافي والسكني والاقتصادي والاجتماعي أو توجهات قيمهم الثقافية،

ففي المجتمعات الحديثة هناك ترتيب تسلسلي للمراكز الاجتماعية بحيث يزداد امتيازات الثروة والقوه و الاحترام كلما صعدنا أعلى التسلسل الهرمي، ويستطيع أي شخص الانتقال من مركز اجتماعي إلى آخر اعتماداً على ما يكســـبه من وسائل في متناول يده.

المجال العمراني: هو عبارة عن منتوج مادي، ليس منتوج البنية الاجتماعية كما كان الحال فـــي عصـــر ابـــن خلدون، في أن القبائل البدوية هي التي تختَّط البلدان وتعمرها، وإنما المجال العمراني في حاضرنا هو منتوج شـــريحة معاصرة التي هي الدولة الحديثة، ودورها في إنشاء المراكز الحضرية، والقرى والمدن الجديدة وتخطيطها وتنظيمهـــا، والتعُّمد في تشكيل مراكز إدارية في إطار سياستها الإدارية وهكذا يعتبر التحضر حتمية سياسية في ضوء متغير القـــوة والقرارات التي ترتكز إلى القانون الذي يعمل على تأسيس التكوين الحضري للقرية أو المدينة، وتشكيل وتفسير النظام والبنية الاجتماعية أو الإيكولوجية لها. بحيث يمكن

المجال الاجتماعي : المجال الاجتماعي هو الحقل الذي تتم فيه عملية التفاعل بين الأفراد ومحيطهم الاجتمـــاعي داخل مجالهم العمراني والمجال الاجتماعي يتمايز ويختلف عن المجال العمراني، لأن هذا الأخير هو منتـــوج شـــريحة

معاصرة (الدولة)، ومنتوج التفاعلات التي تتم في المجال الاجتماعي، ثم يصبح بعد ذلك نتاج لها، فلكل جماعة سكانية ثقافتها (عاداتها، تقاليدها، قيمها ومعاييرها) وطبائعها تؤثر بها على العمران وتصاميمه وفي هندسته وبناءه، الذي يعتبر فيما بعد عبارة عن رموز تترجم كل التمُّثلات الاجتماعية والممارسات الحياتية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وكل ما يتعلق بالمجتمع

ثالثا: مجالات الدراسة:

- ✓ **المجال المكاني:**تمت الدراسة بمدينة ورقلة ورقلة مدينة صحراوية ، في الجنوب الشرقي من الجمهورية الجزائرية وهي عاصمة لولاية متسعة الأطراف تحمل رقم 30 في التقسيم الإداري الجزائري ، تحدّ ولاية ورقلة من الشرق ولاية وادي سوف،ومن الغرب ولاية غرداية،ومن الجنوب ولايتي إيليزي وتامنراست ، ولها حدود دولية مع كل من تونس الجماهيرية الليبية .تتربع الولاية على مساحة تقارب 163233 كم مربع ، وتبعد عن الجزائر العاصمة حوالي 900 كيلومترا.

مدينة ضاربة في القدم، ومركزا عمرانيا هاما، فهي ملتقى للطرق ، وتحتوي على ثروة هامة من النخيل، فضلا عن الثروات البترولية التي تزخر بها باطن الأرض اليوم.

- ✓ **تحديد المجال الزمني:**

وهي الفترة الزمنية التي تستغرقها الدراسة الميدانية ومرحلة جمع البيانات من مجتمع البحث وتفريغها.ومن ثم تحليلها واستعراض النتائج والاستنتاج العام والخروج بأجوبة للتساؤل الرئيسي للدراسة التحقق من الفرضيات

وعليه يمكن تقسيم فترة الدراسة الميدانية إلى(04) اقسام حددت من 2012_2013

- ✓ **المجال البشري:** لذا في دراستنا تم إختيار العينة بطريقة عشوائية من خلال بعض أفراد العينة من كل مجال إجتماعي مدروس وذلك لتبيان مؤشرات كل مجال إجتماعي وكيف يؤثر
- ✓ **تحديد المجالات الإجتماعية**

:قمت بدراسة المجال العمراني الذي يضم المقاطعات الإدارية لولاية ورقلة وبعد دراسة المجال الإجتماعي لهذه المقاطعة الإدارية ومن خلال الملاحظة الميدانية تبين لنا أنواع المجالات العمرانية المتواجدة وذلك من خلال المعايير التالية

قمنا بصياغة مجتمع الدراسة صياغة سوسيولوجية وفق متغيرات ومؤشرات رأينا بأنها تؤثر على عينة البحث و المجال الاجتماعي وتحديده، وتحدد في نفس الوقت هوية الأفراد المتواجدين داخل هذا المجال الاجتماعي ببنيته الثقافية، هذه المتغيرات والمؤشرات تتمثل في ما يلي:

- ❖ **طبيعة العلاقة الاجتماعية المتواجدة في المجال الاجتماعي** يعني هل هي علاقة قرابة من الدرجة الأولى أو من الدرجة الثانية أو هي علاقة اجتماعية عمرانية.
- ❖ **طبيعة النشاط الاجتماعي والمهني الغالب في المجال الاجتماعي** حتى نحدد هل هذا المجال تحكمه ثقافة ريفية زراعية أو ثقافة مستمده من خصوصيات المجتمع الصناعي.
- ❖ **امتلاك الأجهزة من عدمه،** إذ يحدد لنا هذا الامتلاك الطريقة ومدى القدرة المادية والثقافية للفرد التي يشكل بها في مجال اجتماعي ما حدوده الاتصالية أو مجالاته الاتصالية وتفاعلاته الاجتماعية

الحالة الاجتماعية:تم اختيارها بالنسبة للفرد داخل المجال لتحديد هوية الفرد واهتماماته الظرفية انطلاقا من حالته الاجتماعية، فاهتمامات الأعزب تختلف عن اهتمامات المتزوج، واهتمامات المرأة الماكثة في البيت تختلف عن اهتمامات المرأة العاملة...إلخ.

أما كل من السن والمستوى التعليمي والأصل الجغرافي فقد وضعوا لتحديد الحالة للكشف عن مؤشرات الرغبة و رفض المشروع.

- **رابعا: الاجراءات المنهجية لدراسة:**

المنهج المستخدم في الدراسة: اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي في تجميع البيانات والمعلومات، والذي نسلكه في تحليل وتبيان الحقائق، بحيث استعمل لإيضاح السبيل وتنظيم الأفكار، إذ هو المنهج الذي يتضمن الحقائق الراهنة بطبيعة الظاهرة، وهو أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف مشكلة أو ظاهرة معينة وتصويرها عن طريق جمع المعلومات الكمية والكيفية وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة. تم استخدامه لدراسة الأوضاع الراهنة للمشكلة من حيث خصائصها وأشكالها وأنماطها، وعلاقاتها والعوامل المؤثرة في ذلك، من اجل التعرف علي حالة المجالات العمرانية من حيث دراسة بنياتها الاجتماعية ونظامها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وطرازها العمراني...الخ. وسعياً للوصول إلى نتائج وتعميمات تساعد في فهم واقع الحياة اليومية للعينة ذات الأصول التقليدية

- ✓ **منهجية البحث:** يعد البحث محل الدراسة بحثاً نظرياً يعتمد المنهج الوصفي التحليلي ، من خلال رصد الكتابات المتعلقة بالموضوع قيد الدراسة ، وتحليل الواقع الاجتماعي وتحليل المفاهيم ذات العلاقة بالظاهرة المدروسولمعرفة دور الحراك الاجتماعي في الحصول على المكانة الاجتماعية وعلاقة ذلك ببنية ونظام المجتمع ولخلق المجتمع المنشود الذي يتيح لكل مكوناته من أفراد وجماعات حراكا حراً يساهم في خلق التنمية والتقدم ويرسخ نظامه وبنيته الاجتماعية السليمة التي هي أساس كل تغير نحو الأفضل .

خامسا: نتائج الدراسة الميدانية عبر سكان القصر القديم بورقلة عن مخاوفهم من أن يتسبب مشروع الترامواي بورقلة الذي هو قيد الدراسة حاليا في إلحاق الضرر بأساسات وهياكل القصر الهشة أصلا وأن يؤدي ذلك أيضا إلى تشويه الطابع العمراني للمنطقة مقترحين فتح نقاش حول إمكانية مراجعة مسار المشروع .

وأوضحت جمعيات محلية في رسالة مشتركة لها عن خشيتها من أن يصاب القصر بأضرار جانبية ليس فقط نتيجة للأشغال الكبيرة التي يتطلبها مشروع من هذا الحجم وإنما نتيجة أيضا للاهتزازات التي ستحدث بفعل عملية رحلات الترامواي عند دخوله في النشاط .

ويزداد حجم هذا القلق مخافة أن يتسبب هذا المشروع العصري ايضا في تشويه الطابع العمراني الأصيل لقصر ورقلة العتيق المصنف منذ شهر مارس من سنة 2011 من طرف قطاع الثقافة كقطاع محفوظ اضافة الى التخوف من أن يؤثر على جاذبيته السياحية وروحه ومرجعتيه الاجتماعية والثقافية حسب ما أشار إليه ممثلو خمس جمعيات وقعت على هذه الرسالة

قصرورقلة والى صمود هذا التراث المعماري القديم أمام مشروع من هذا الحجم مثلما جرى توضيحه .

- ✓ **سادسا :خلاصة** لم يكن اختيارنا للموضوع بطريقة عشوائية وانما كان نتيجة مسار البحث العلمي وأيضا نتيجة للأهداف التي تم تحديدها في مقدمة الدراسة ،هذه الدراسة التي عرفت مراحل متسلسلة من البحث العلمي حتى الوصول الى النتائج التي تعتبر حوصلة للبحث الاستكشافي.

وهكذا فنتيجة هذا البحث الذي يدور حول علاقة الحراك الاجتماعي بالمتغيرات المجتمعية للمجالات الاجتماعية في المدينة الجزائرية واختيار ترامواي ورقلة كمتغير،يتضح لنا بجلاء ضرورة الاهتمام بالدراسات الاجتماعية في المجال الاقتصادي العمراني،خاصة فيما يتعلق بخصوصيات الشباب الجزائري عامة و الورقلي خاصة التي تنعكس نتائجها على المكانة و الدور الذي يلعبه الشباب في ذلك ،هذه الخصوصيات التي تتطلب

تكثيف الجهود من قبل جميع الفاعلين لتقليل حجمها .خاصة في المجتمع الجزائري الذي لايولي اهتماما بالأخصائي الاجتماعي و الدراسات الاجتماعية في كافة المجالات ومجال الاقتصادي على وجه الخصوص،

قائمة المراجع و المصادر

1–الربيعي ، صاحب) 2991 (، الحوار المتمدن ، العدد 2213 الصادر في/2991/5 .19
2.جيدنز، أنتوني) 2995 (، علم الاجتماع ، ترجمة :فايز الصايغ ، مركز د ا رسات الوحدة العربية ،بيروت ، ص395
3.بودون ، ريمون وبوريكو ، ف ا رنسوا) 2991 (، المعجم النقدي في علم الاجتماع ، ترجمة : وجيه أسعد ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ص491
. 4.القباع ، مندل) 2919 (الهجرة من الريف إلى المدينة ، صحيفة عكاظ ، العدد3419
5.أحمد ، خليل) 1614 (المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع ، دار الحداثة للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت ، ط 1 ، ص64
9.موقع المقاتلhttp://www.moqatel.com هس ، بيث وآخ رون) 1616 (، علم الاجتماع ، ترجمة : محمد مصطفى الشعبيني ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ص ص399
.10 . غيث ، محمد عاطف) 2999 (، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، ص364
6.خمش ، مجدالدين) 1666 (علم الاجتماع ي الموضوع والمنهج ، دار مجدلاوي للنشر ، عمان ،
.الأردن ، ص 136.19 عبد الشافي ، عصام) 2911 (، نظرية الدور ي د ا رسة تأصيلية في المنطلقات الاجتماعية والسياسية ، المركز العربي للد ا رسات والأبحاث.
. 11.بدوي ، أحمد زكي) 1611 (، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، ص229
/8002/5 .صاحب الربيعي ، الحوار المتمدن ، العدد 8822 ، الصادر في1 61
أنتوني جيدنز ، علم الاجتماع ، ترجمة فايز الصياغ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 8005 ، ص2 215
ريمون بودون ، فرانسوا بوريكو ، المعجم النقدي في علم الاجتماع ، ترجمة : وجيه أسعد ، دمشق ، الهيئة العامة السورية للكتاب، 8002 ،ص 62 / 68 / 38060 106 ، مندل عبدالله القباع ، الهجرة من الريف إلى المدينة ، صحيفة عكاظ ، العدد 4 2120
خليل أحمد خليل ، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع ، بيروت ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 6821 ، ص6 http://www.moqatel.com 5 81
305/306بيث هس وآخرون ، علم الاجتماع ، ترجمة:محمد مصطفى الشعبيني،الرياض،دار المريخ للنشر، 6828 ،ص ص7
محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، 8001 ، ص8 281
ريمون بودون وزميله ، مرجع سابق ، ص9 212 بيث هس وآخرون ، مرجع سابق ، ص10 266
ريمون بودون وزميله ، مرجع سابق ، ص11 220 مجد الدين عمر خيري خمش ، علم الاجتماع الموضوع والمنهج ، الأردن ، عمان ، دار مجدلاوي للنشر ، 6888 ، ص12 628 عصام عبد الشافي ، نظرية الدور دراسة تأصيلية في المنطلقات الاجتماعية والسياسية ، المركز العربي للدراسات والأبحاث ،13 8066
19 مجد الدين عمر خيري خمش ، مرجع سابق ، ص14 651 أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، 6822 ، ص15 880
868أنظر في ذلك : محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ص16 862
محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ، ص17 888
محمد سعيد فرح ، البناء الاجتماعي والشخصية ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 6828 ، ص__282